العرب والحضارة الحديثة

بقلم الدكتور صبحي خالص

في الوقت الذي كانت فيه الحضارة الحديثة تخطو خطواتها الجبارة في اوربا وامريكا منذ الثورة الصناعية في القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر ، كانت الشعوب العربية تغفو في اوطأ دركات التخلف الاقتصادي والفكري تهدهدها احلام من ماض انقلب الى نوع من الاساطير والاوهام كقصص الف ليلة وليلة ، ومستقبل غامض تبحث عنه في حياة اخرى خارج هذا العالم الفسيح ، فيما وراء جدار الموت الذي يحيط بها من كل مكان ، نتيجة الفقر والمرض والجهل والفوضى السياسية والاجتماعية التي ضربت اطنابها في كل بلد ومدينة وشارع وبيت .. لقد تركت هذه الشعوب قيادها لمشيئة القدر الذي آمنت به ايمانا مطلقا وتركت له امر التصرف بكل صغيرة وكبيرة في حياتها الحاضرة والمقبلة ، وقنعت او كادت بحياتها البائسة التي اعتبرتها جسرا الى العالم الاخر ..

ولكن تطور الاحداث عكر عليها هذا النوم الهادىء وحركها من سباتها العميق ، ففتحت عينيها تحت وقع سياط مؤلمة وضربات عنيفة متلاحقة لترى نفسها مكبلة بالاغلال والقيود من كل نوع تحت رحمة الدول الاوربية المتقدمة المتحضرة التي استوعبت كل منجزات الحضارة الانسانية ..

هكذا كانت البداية الحقيقية للقاء الطويل الذي بدأ في القرن التاسع عشر والذي ازداد شدة فيما بعد ، بين الحضارة الاوروبية والشعوب العربية ... كان لقاء قاسيا عنيفا يتسم منذ لحظاته الاولى بالرغبة في القهر والاذلال والاستغلال من قبل جانب ، وبالمفاجأة والهلع والشعور بالضعف رغم مظاهر التمرد التي ظهرت في هذا البلد او ذاك باشكال تختلف قوة وضعفا من الجانب الاخر .

واذا كانت هذه العلاقة تقوم اساسا وقبل كل شيء على الاستغلال الاقتصادي ، فانها شملت جميع الميادين السياسية والثقافية والاجتماعية والفكرية ، ولكن بدرجات متفاوتة ، وباشكال تخضع اولا وآخرا للاساس الاول ونعني به الاستغلال الاقتصادي ..

وقد كان مرور الزمن يزيد من عمق هذه السمات التي ميزت اللقاءات الاولى بين العالم العربي والعالم الاوربي في العصر الحديث ، فازدادت علاقات الاستغلال والاضطهاد والقهر عمقا وسعة وشمولا عاما بعد عام .. واذا كانت قد اخذت شكلا منظما وواضحا بعد الحرب العالمية الاولى ، فانها لا تزال بمجملها خاضعة لنفس هذه السمات ومرتبطة بنفس الخصائص والشروط ولا سيما بعد تزايد دور الولايات المتحدة الامريكية وتسلمها قيادة العالم الرأسمالي الاستعماري ، رغم اختلاف الاساليب المستعملة لهذا الغرض .

وكان من الطبيعي ان يصاحب هذا التعمق والاتساع في علاقات الاستغلال والقهر والاضطهاد للعالم العربي ، ازدياد روح التمرد في العالم العربي وتعاظم الرغبة في التحرر من القيود السياسية والاقتصادية والفكرية التي فرضها العالم المتمدن على هذا العالم ، لحد اطلق عليه كثير من الكتاب والمؤرخين المحدثين اسم « الثورة العربية » . وبما ان مفهوم هذا التعبير غير واضح بالنسبة لمستعمليه انفسهم ، كما انه لا يحمل بحد ذاته تحديدا علميا واضحا ، فضلا عن صعوبة اطلاق اسم « ثورة » على كثير من المحاولات الاصلاحية التي جرت وتجري حتى الان ، او حتى على محاولات التمرد على ما هو قائم فعلا ، فاننا نفضل عدم استعمال هذا التعبير ، واستبداله بتعبير حركة التحرر العربي المعاصرة ، او باسماء تياراتها المختلفة الاكثر تحديدا عند الحديث عن المحاولات التي ترمي الى تبديل طبيعة العلاقات القائمة بين الدول الغربية المتقدمة والعالم العربي وبنائها على اساس جديد ، او بتعبير آخر عند الحديث عن محاولات تحطيم العلاقات غير المتكافئة القائمة بين هذين الجانبين ، بتحرير المجتمع العربي من كل انواع الاستغلال والتبعية للعالم الرأسمالي ، وتوفير الظروف الملائمة لاقامة علاقات مثمرة من نوع جديد قائمة على اسس انسانية ومصالح مشتركة ..

ونحن حين نتحدث عن المعركة الضارية القائمة بين العالم الغربي والعالم العربي ، لا نعني بطبيعة الحال ، تحديدا اقليميا لطرفي هذه المعركة ، وانما نعني محتوى كل من هذين التعبيرين الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي السائد ، آخذين بعين الاعتبار ان للعالم العربي انصاره ومؤيديه في المعركة في قلب المجتمع الغربي ، وان هذا العالم يستعين في معركته وسيطرته على العالم العربي بعناصر من هذا العالم نفسه ... ولكن اذا كانت هذه العناصر التي تدعم النفوذ الاوربي وتقف الى جانبه في المعركة ذات تأثير واسع وحاسم في كثير من انحاء العالم العربي ، فان تأثير انصار العالم العربي في المجتمعات الغربية لا يزال بعيدا جدا عن ان يكون حاسما في العلاقات بين الجانبين ، ولا تزال القوى الاستعمارية والشركات الاحتكارية الكبرى هي التي تقرر موقف الدول الغربية وتحسمه لمصالحها .. والا فكيف نفسر الموقف المخجل الذي تقفه الدول الغربية تجاه محاولات الشعوب العربية المتخلفة

للسيطرة على مواردها الطبيعية واستعمالها لرفع مستواها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، كما تفعل تجاه تأميم العراق لموارده النفطية ، وكما فعلت تجاه مصر في عام ١٩٥٦ عند تأميم قناة السويس ،مستخدمة ضد هذه الشعوب الصغيرة كل وسائل الضغط والحصار .. والواقع ان هذه المواقف التي نسميها مخجلة ليست الا جزءا لا يتجزأ من طبيعة العلاقات التي فرضها العالم الغربي على العرب ..

اننا مع اعترافنا بقيمة الجهود التي تبذلها القوى والحركات التقدمية في اوربا الغربية لتبديل طبيعة العلاقات القائمة مع العالم العربي ، فان من الضروري الاعتراف ان الطريق لا تزال امامها طويلة جدا لتحقيق هذا الغرض .

★ ★ ★

ونعود مرة اخرى لنرى كيف تطورت العلاقات الحضارية بين العرب والعالم المتمدن ...

لقد كانت هنالك اذن يقظة ، ولكنها يقظة مؤلمة ، كان يزيد حدتها شدة الطوق الاقتصادي والسياسي الذي ضربته الدول المتمدنة على الشعوب العربية .. والذي اتخذ اشكالا مختلفة امتدت من الاستعمار المباشر الى الحماية والانتداب فالاستقلال السياسي الشكلي ، ثم تطورت في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية الى سيطرة تامة على موارد الثروة واستنزاف لها ، واعاقة اي تقدم حقيقي للمجتمع العربي باستعمال مختلف الوسائل والسبل .. وعن طريق هذه العلاقة ، علاقة السيد بالعبد ، علاقة الظالم بالمظلوم ، علاقة المستغل بالمستغل ، تسربت كثير من المظاهر الحضارية من اوربا الى العالم العربي .. ولكنها لم تستطع ان تغير واقع المجتمع العربي تغييرا جذريا ، بل ولا حتى واقع الفكر العربي ، بل على العكس من ذلك زادت من ازمة المجتمع الثقافية والنفسية وافقدته اصالته الفكرية وجعلت منه في كثير من الاحيان شكلا زائفا ملونا بالوان مصطنعة باهتة قائمة على غير اساس..

اننا يجب ان نعترف بصراحة اننا نحن العرب ، لم نسهم في عصرنا الحديث اسهاما مهما في الحضارة الانسانية المعاصرة .. وقد يكون سبب من اسباب هذا القصور الحضاري هو قصر المدة التي مرت على اتصالنا بالحضارة الحديثة ، ولكن السبب الاكبر والاهم ـ في رايي ـ هو اننا لم نستوعب هذه الحضارة ولم نهضمها ، واننا نتلقاها عموما تلقي التابع المقلد ، نتلقى مظاهرها دون جذورها ـ ولذلك كله اسباب تاريخية وموضوعية منها انها كما ذكرنا حضارة تفرضها علينا طبيعة علاقتنا التبعية غير المتكافئة بحملة هذه الحضارة واسباب اخرى سنأتي للحديث عنها بعد قليل .

عندما استيقظ المجتمع العربي في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن على وقع سياط الاستعمار ورنين الاغلال والقيود التي كبل بها تلفت حوله في وسط الظلام الذي كان يتخبط فيه باحثا عن قبس من نور يضيء به طريق الخلاص فيتصور الكثير من ابنائه ان هذه الطريق هو طريق العودة الى القديم ، واستعادة مآثر الماضي ، والالتزام بقيمه ومقاييسه الفكرية والخلقية والحضارية .. ناسين او متناسين ان بينهم وبين هذا الماضي اكثر من الف عام ، وان ما كان تقدما وازدهارا آنذاك لا يمكن ان يكون كذلك اليوم .. وان الدين الذي كان نقطة انطلاق لمجتمع امي جديد قبل اربعة عشر قرنا لا يمكن ان يكون وصفة جاهزة لعصر الامبريالية ،عصر الذرة والفضاء والتقدم التكنولوجي. وكانت النتيجة فشل هذا التيار الديني السلفي المحافظ في ان يقدم للجماهير العربية حلا مقنعا لازماتها ، وبدل ان يحل المشكلة القائمة عمليا بين الحضارة الحديثة والمجتمع العربي زاد في تعقيدها وثبت عمليا اسس العلاقات الاقتصادية القائمة على الاستغلال مع العالم الغربي والتي تستند على اعتبار العالم العربي سوقا للسلع الجاهزة ومورداً للمواد الخام ، كما هو الحال في الجزيرة العربية وبلدان عربية اخرى لا تزال تعتبر نفسها نموذجا للالتزام بالمقاييس والقيم الدينية القديمة ..

وعلى العكس من انصار هذا التيار فقد وجد آخرون ان طريق الخلاص هو في تبني مظاهر الحضارة الغربية ، فاندفعوا نحوها بحماس ولكن سرعان ما احسوا بانعزالهم من المجتمع وبطوفانهم على سطحه وبمعاناتهم عمليا من ازدواجية مريرة لم تحل عمليا مشكلة علاقتهم بالعصر والمجتمع ، كما لم تحل مشكلة علاقة المجتمع العربي المعاصر عموما بالحضارة الحديثة ..

واذا كانت عملية الصراع الحضاري الفكري هذه تجري بشدة في اعماق عقول الاجيال العربية التي تعاقبت منذ قرن تقريبا ، فان ما غلب على واجهة ساحة المعركة هو الصراع من اجل الاستقلال السياسي والذي اتخذ شعارات متعددة كانت سمة بارزة لحركة قومية واسعة ، كانت على اختلاف اتجاهاتها تؤمن باهمية الاستقلال السياسي والتخلص من الحكم الاجنبي المباشر باعتباره المحور الاساسي للتحرر من السيطرة الاجنبية ، وبالتالي تحقيق نوع من الوحدة بين الدول العربية تضعها في محلها الملائم المتميز في العالم المعاصر . وقد اقترن الكفاح من اجل الاستقلال السياسي دائما بنظرات معينة الى الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي تختلف باختلاف طبيعة الطبقات التي تقود هذا الكفاح ..

ورغم تحقق الاستقلال السياسي (بمعناه الشكلي) في اكثر البلدان العربية ، فان من الواضح ان العلاقة بين العرب والدول الغربية لم تتغير ، واكثر من ذلك العلاقات بين الفكر العربي المعاصر والحضارة الحديثة .. ولم تحل مشكلة التخلف ولا مشكلة التبعية المهينة التي يقاسي منها العالم العربي تجاه الدول الرأسمالية المتقدمة .. لقد اثبتت التجارب ان الاستقلال السياسي رغم اهميته ، ليس المفتاح السحري لجميع المشاكل التي يعاني منها العالم العربي ومنها علاقته بالدول الغربية المتقدمة .

لقد طرحت الماركسية منذ قرن تقريبا المفتاح الصحيح لفهم الازمة القائمة بين العالم الرأسمالي المتحضر والعالم العربي المتخلف ، حين اكدت اهمية تطور قوى الانتاج وملكيتها في المجتمع وما ينتج عنها من علاقات انتاجية واثر ذلك في تطور العلاقات الاجتماعية وتكوين مثل المجتمع العليا وافكاره وقيمه ومقاييسه ... وبقدر ما يصدق ذلك على العلاقات في المجتمع الواحد ، فانه يمكن ان يقدم تفسيرا واضحا للاوضاع في المجتمع الدولي بتأكيده حقيقتين مهمتين :

الاولى ـ ان العلاقات بين دول قوية ذات صناعة متقدمة واقتصاد متطور ، تسيطر فيها الشركات الرأسمالية المستقلة ، وبين مجتمعات متخلفة صناعيا وعلميا ، غنية بالمواد الخام ، لا يمكن ان تكون الا علاقة سيطرة واستغلال واذلال من جهة ، وتبعية وخضوع من الجهة الاخرى..

والثانية ـ ان كل مظاهر الحضارة الاوربية الحديثة بجميع جوانبها السلبية والايجابية هي نتاج مجتمع صناعي متطور اقتصاديا ، سواء اكان ذلك في مجال العلوم النظرية ام التطبيقية ام الفنون والآداب ام الفلسفة والاخلاق .. فمن الطبيعي ان لا تنسجم هذه المظاهر الحضارية تماما مع مجتمع متخلف صناعيا واقتصاديا وبالتالي اجتماعيا .. ومن هنا يبدو الافتعال والتصنع في استيراد كثير من المظاهر الحضارية الغربية وتطبيقها شكليا وعدم جدواها ... فمن العبث

التتمة على الصفحة ـ ٧١ ـ

العرب والحضارة الحديثة

تابع المنشور على الصفحة ـ ١٢ ـ

مثلا ان نتحدث عن رفع مستوى المرأة الاجتماعي والثقافي عمليا الى المستوى الذي بلغته الحضارة الحديثة في مجتمع لا تزال تتحكم فيه علاقات اقتصادية واجتماعية متخلفة ومختلفة عن تلك التي تقوم عليها الحضارة الحديثة .. ومثل هذه العقبات تعترضنا عند محاولتنا تطبيق كثير من المفاهيم الحضارية الحديثة كالديمقراطية والاشتراكية وغير ذلك في مجتمعنا المتخلف وهكذا تكونت ازدواجية صارخة ليس في نفسية الفرد العربي المتحضر فقط بل على نطاق المجتمع العربي كله .. اننا نتحدث عن كثير من المثل الحضارية الحديثة .. عن تبني كثير من المفاهيم الحضارية الحديثة .. ولكننا نفرغها في اكثر الاحيان من محتواها الحقيقي عند تطبيقها ، او اننا نحاول حشرها حشرا في قوالب لا تلائمها هي نتاج وضع فكري واجتماعي تركه لنا نظام اقتصادي متخلف .. ومن هنا نشأت الازمة الحقيقية التي شملت جميع نواحي الحياة .. واذا تعمقنا في اسباب ازمة الفكر في المجتمع العربي والاخلاق في المجتمع العربي والفن في المجتمع العربي ، والعلم في المجتمع العربي ، وجدنا اسبابها الاساسية تكمن دون شك في عدم انسجامها مع التركيب الاقتصادي المتخلف للمجتمع العربي عموما ..

ان من المؤسف ان نلاحظ ان ما حققناه من تقدم حضاري في السنوات الخمسين الاخيرة ليس سوى تقدم شكلي سطحي .. فهو ليس اضافات حقيقية للحضارة الانسانية بقدر ما هو تقليد متخلف لمظاهر الحضارة الغربية ... ان ما عندنا من الاشياء الخاصة المتميزة هو تراثنا القديم .. ولكن تراثنا القديم قديم .. وهو لا يمكن ان يكون باي حال من الاحوال البديل لحضارة عصرية متطورة ..

وهكذا يقودنا هذا التحليل الى اختيار صعب ، يتمثل اما في الانغلاق على الماضي والتنكر للحضارة الاوربية الحديثة ، واما تقليدها شكليا والوقوف عند ظواهرها دون ابداع كما هو حاصل الان ، واما ان نسعى الى بناء مجتمع عصري متقدم صناعيا وزراعيا وتكنيكيا ، هو وحده الكفيل بتطوير حضارة عصرية متقدمة قائمة على اسس راسخة تجعل علاقاتنا مع الحضارة الاوربية الحديثة علاقة متكافئة لحد ما ومثمرة ومجدية ، وهذا هو ما يجب ان نسعى اليه .. وليس معنى ذلك ان مثل هذه الحضارة ستكون نسخة اخرى من الحضارة الاوربية .. بل على العكس من ذلك فانها ستكون قادرة على التفاعل معها واغنائها والسير معها في نفس الاتجاه ، لخلق حضارة انسانية اكثر انسانية واكثر تطورا واعم نفعا .

ان معنى ذلك بوضوح ، اننا اذا كنا حريصين فعلا على مواكبة الحضارة الحديثة والسير معها جنبا الى جنب ، لا العيش على فتات موائدها ، والركض لاهثين وراءها ، فان سبيلنا الى ذلك هو خلق قاعدة اقتصادية متينة تقوم على صناعة حديثة متطورة وزراعة ممكنة وتكنيك حديث .. ان وجود مثل هذه القاعدة هو الذي يستطيع ان يجعل علاقاتنا الحضارية مع العالم المتمدن علاقات حقيقية متكافئة ومثمرة ..

صحيح ان اكثر الدول العربية لا تزال بعيدة عن هذا الطريق راضية بدور التابع المستهلك المنتج للمواد الخام ، الا ان مجتمعات عربية اخرى ادركت هذه الحقيقة وعرفت سبيلها الى التقدم بل وخطت فيه خطوات . واذا كانت مصر قد سبقت الدول العربية في هذا المضمار وحققت انجازات اقتصادية مهمة ابتدأت آثارها تنعكس في حياة الشعب المصري الاجتماعية والثقافية ، فان شعوبا عربية اخرى مثل الشعب العراقي والجزائري والسوري ابتدأت تضع اقدامها على اول الطريق وسط ركام من العقبات والمشاكل التي تتعاون على وضعها قوى التخلف والرجعية في الداخل ، وقوى الاستعمار والاستغلال في الخارج .. ان شرار ثورة عربية حقيقية ابتدأ يتفجر في شرق العالم العربي وغربه ووسطه ، في شماله وجنوبه من جراء هذا التحول في تركيب المجتمع العربي الاقتصادي ، رغم بطئه .. واننا لنأمل ان ينقلب هذا الشرر الى شعلة وهاجة ولهيب مضطرم يأتي على المجتمع القديم ويضيء طريق المستقبل للاجيال القادمة .

ان ما يحدث في العراق اليوم يكون نموذجا صارخا لهذا الواقع الجديد في المجتمع العربي ، ويبرر نظرتنا التفاؤلية الى المستقبل .. فمهما قيل ويقال عن المشاكل التي يواجهها العراق اليوم ، فقد اجتمعت ارادة كل القوى الوطنية وفي مقدمتها تلك التي في الحكم على ان تبدأ طريق التقدم الحقيقي ، طريق الحضارة المعاصرة ، بدايته الصحيحة، بالتخلص من نفوذ الشركات الاحتكارية الكبرى ووضع موارد البلاد الطبيعية بين يدي ابنائها واستخدامها من اجل تحويل المجتمع العراقي الزراعي المتخلف الى مجتمع صناعي متقدم . واذا كان من السابق لاوانه الحكم على نجاح هذه المحاولة الجريئة ، فان تحليلا علميا لمجمل الظروف المحيطة بالعراق وادراكا حقيقيا لطاقات شعبه لتعطينا ثقة تامة بنجاح هذه التجربة .. وعلى كل حال فلا بديل للنجاح سوى استفحال تخلف المجتمع العراقي وتعمق ازمته الاقتصادية والفكرية والحضارية .. ان الطريق طويل والصعوبات كبيرة ، ولكن لا سبيل للاختيار .. انه الطريق الوحيد للتفاعل تفاعلا نشيطا وحقيقيا مع الحضارة الحديثة واستيعابها استيعابا كاملا وتطويرها واغنائها بكل ما هو جديد وانساني ..

واذا كان الغرب المتحضر يرفض الاخذ بيد العرب في هذا السبيل، سبيل التقدم الصناعي والتكنيكي بسبب ارتباط سياسات دوله عموما بمصالح الشركات الاحتكارية الكبرى ، فان الدول الاشتراكية قد ادركت بحكم طبيعة انظمتها السياسية والاقتصادية ومبادئها النظرية سبيل التعاون الحقيقي مع العرب ، لذلك فقد مدت ايديها الى الشعوب العربية التي تعاونت معها لانتشالها من وهدة التخلف واقامة قاعدة صناعية حديثة لا بد ان ينتج عنها تغيير العلاقات الاجتماعية وتبديل البنى الفوقية ، وفي مقدمتها الافكار والتقاليد والظواهر الحضارية ، وجعل الاتصال بالحضارة الحديثة اكثر عمقا وشمولا ،وحاجة تتطلبها طبيعة التطور العام للمجتمع لا مجرد محاكاة وتقليد لبعض المظاهر الحضارية قد يكون سببه شعور بالنقص ليس غير ..

ان التعاون بين الدول الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي والدول العربية المتحررة في السنوات الاخيرة ليقدم نموذجا رائعا للعلاقات المثمرة الفعالة بين دول متخلفة ودول اكثر تقدما ، هذه العلاقات التي تهدف اولا وقبل كل شيء الى بناء قاعدة حضارية حديثة قادرة على انقاذ هذه البلاد من اسر الماضي ووضعها في طريق التطور الحضاري الحديث . ان مئات المعامل والمشاريع الانتاجية القائمة في مصر وسوريا والجزائر والعراق وغيرها لتقدم امثلة رائعة لثمار هذا التعاون الذي لم يمض عليه سوى سنوات ، لا سيما اذا ما قورن بما خلفته العلاقات الاستعمارية مع الدول الاوربية الغربية طيلة عشرات السنين من فقر وجهل ومرض وقيود متنوعة ونهب لكل موارد البلاد .. ان الشعب العراقي مثله في ذلك مثل الشعوب الاخرى التي جنت ثمار هذا التعاون ـ ليدرك تمام الادراك المعنى الكبير الذي تحمله معامل والتعليب وغيرها والتي نشئت بمساعدة الدول الاشتراكية المتقدمة كما والتعليب وغيرها والتي انشئت مساعدة الدول الاشتراكية المتقدمة كما يدرك قيمة واهمية المساعدات التي قدمها له الاتحاد السوفييتي وهنغاريا وبولونيا في استثمار ثرواته الوطنية من نفط وكبريت وغير ذلك وطنيا

بمعزل عن الاحتكارات العالمية .. ان تلك هي بداية الطريق نحـــو حضارة حديثة متطورة ، ونحو علاقات حضارية طبيعية مع العالـــم المتمدن ..

ان وعيا عارما بهذه الحقيقة ابتدأ يجتاح الجيل العربي المعاصر ، وما لم تفعل الدول الغربية شيئا لادراك ذلك والتصرف انطلاقا منه ، فان علاقاتها بالعالم العربي ستزداد سوءا وتدهورا يوما بعد يوم ... انها لظاهرة غريبة وملفتة للنظر ان تكون العلاقات الدبلوماسية لدولة مثل العراق مقطوعة مع دول غربية كبيرة مثل الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية ، وان علاقاتها الاقتصادية والثقافية التي كانت متطورة قبل سنين تتدهور وتضعف يوما بعد يوم ، ومثل ذلك يصدق عـــلى علاقات مصر وسوريا وغيرهما مع هذه الدول .. وليس سرا ان هـــذا الموقف السلبي تجاه الدول الغربية يحظى بتأييد جماهيري عام فـــي العالم العربي .. ان لهذه الظاهرة دون شك اسبابها التي تكمن اولا وقبل كل شيء في موقف الدول الغربية الكبرى ، والناتج عن نظرتهـا الاستعمارية التقليدية وعدم ادراكها لطبيعة المرحلة التي يمر بها العالم العربي اليوم ، او محاولتها تجاهل ذلك بتأثير القوى المسيطرة على سياستها .. ويكون تحيز اكثر الدول الغربية الكبـرى الصـــارخ للصهيونية جزءا من هذا الموقف ..

ان الجماهير العربية وفي مقدمتها المثقفون العرب بقدر ما يحملون من ردود فعل سلبية تجاه اكثر الدول الغربية وعدم ثقة بها ، فانهـم يقدرون كل التقدير المواقف التي تقفها الطبقة العاملة في اوربا الغربية والمثقفون التقدميون والحركات السياسية والاجتماعية والفكرية التقدمية التي تحرص فعلا على ان تكون العلاقات بين العرب وشعوب اوربـــا الغربية في اعلى مستوى من التضامن والتعاون ، وانها لتنتظر بفارغ الصبر ان يكون لهذه العناصر والقوى اثرها الحاسم في توجيه سياسة البلدان الغربية المتقدمة وفي مواقفها .. ولا شك ان الوقت الـــذي ستتوطد وتزدهر فيه العلاقات بين هذه الدول والعرب والتي تمر الان بفترة انتكاسة وتدهور ، هو ذلك اليوم الذي تسهم فيه هذه الدول فعلا في بناء مستقبل حضاري حديث للعرب وتكوين قاعدة اقتصادية وتكنيكية متقدمة لمجتمعهم وفسح المجال لهم لكـي يستخدموا كل مصادر ثرواتهـم لبناء مجتمع عصري متقدم صناعيا وتكنيكيا وعلميا .

ان عددا اكبر فاكبر من المثقفين العرب اخذ يدرك بشكل حاد مدى التخلف الذي يعانيه المجتمع العربي وحاجته الماسة الى ثورة صناعية تكنيكية هي السبيل الوحيد الى ثورة حضارية حقيقية .. وقد استطاع ان يتخلص من احلام الماضي ليعيش في الحاضر ويدرك حاجاته ومتطلباته ويعرف السبيل الى سد هذه الحاجات . لقد كان الدرس الذي تلقيناه من الدول الغربية المتقدمة في القرن المنصرم قاسيا جدا ، ولكنه لـم يمر دون منفعة وجدوى .. والدليل على ذلك شعورنا الشديد بالتخلف ورغبتنا العارمة القوية في مسابقة الزمن لبناء قاعدة المجتمع العصري الجديـد .

ان اعجابنـــا الكبير بالحضارة الغربية الحديثة وطموحنا للارتفـاع الى مستواها لا يمكن ان يعمي ابصارنا عن السبيل الصحيح للوصول الى هذا الهدف ونعني به الصناعة والعلم والتكنيك والتي تهيىء الظـروف الضرورية لاستيعاب هذه الحضارة وهضمها والاسهام في تطورها ..

وبهذه المناسبة فاننا نستنكر جميع النظرات العنصرية اللاعلمية التي تحاول افتراض وجود طبيعة خاصة للشعب العربي تحول دون استيعابه للتكنيك الحديث ونفرض حصره في مجال حضاري معين ، ونعتبرها جزءا من الحملة النفسية التي تشنها الاوساط الاستعمارية للاستمرار في سيطرتها على موارد الوطن العربي والاحتفاظ به فـــي وضعه المتخلف ..

صلاح خالص استاذ في جامعة بغداد

ثورة الأمل

تأليف الفيلسوف الاميركي

اريك فروم

ترجمة ذوقان قرقوط

في هذا الكتاب ، وهو آخر ما ألف عالم النفس الاميركي المعروف اريك فروم ، يواجه المؤلف فوضى العالم الحالية واضطراباته ، فيجد بالرغم من كل شيء اسبابا وجيهة للامل .. ان « الفليان والرفض » ، حتى بشكلهما العنيف وغير المنظم ، يأتيـان في الوقـــت المناسب لالزام العالم بان يحل ، او يحاول على الاقـل ان يحل المشكلة المقلقة التي نجمت عن نمو المجتمـــع التكنيكي على حساب النزعة الانسانية . بل ان اريك فروم يذهب الى حد أن يقترح ، من اجل ذلـــك ، مخططات حلول تستطيع في رأيه ان تخرج « ثـــورة الامل » من الفوضى والعماء ...

يصدر هذا الشهر